

الأسبوع الأول من الصوم الكبير

هذا الأسبوع هو الأسبوع الأول من الصوم الكبير في الكنيسة الأرثوذكسية. الأحد الأخير قبل الصوم يُسمى أحد مرفع الحبن، كونه اليوم الأخير الذي يُسمح به بأكل البيض أو المنتجات الحيوانية وفي الدورة الليتورجية يُسمى "أحد الغفران" إذ فيه نقرأ القراءة الإنجيلية من إنجيل متى (6: 14-21).

ونُقيم في هذا الأحد أيضاً تذكراً طرد آدم وحواء من الفردوس بسبب المعصية. لقد خلق الله آدم على صورته ومثاله. أقامه في الفردوس أي في حلاوة الحياة والعيش مع الله، في شراكة دائمة معه وأعطاه وصية واحدة، أراد أن يكون أميناً له فأعطاه وصية الطاعة، لكن آدم اختار عدم الطاعة إذ خضع لتجربة الشيطان الذي أغراه قائلاً: "لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منها تُفتح أعينكما وتكونان كأنه عارفين الخير والشر".

هذه هي التجربة الكبرى: أن نحاول أن نصبح آلهة بدون الله، بقوانا الشخصية وليس بقوى الله المحيية. في هذا اليوم تضع الكنيسة صورة آدم وهو جالس أمام باب الفردوس المغلق في وجهه وهو ينتحب على خسارته الفردوس أي العشرة مع الله.

تقرأ صلاة الغروب:

" أن آدم جلس إذ ذاك إزاء نعيم الفردوس وانتحب ضارباً وجهه بيديه قائلاً: يا رحوم ارحمني أنا الواقع".

في كل أحد من آحاد الصوم نُرتل في صلاة السحر " افتح لي أبواب التوبة يا واهب الحياة". وهل استعادة وفتح أبواب الفردوس مُمكنة؟ بالطبع هي مُمكنة. فنحن نستطيع أن نستعيد الفردوس الضائع بالتوبة. قد يظن البعض أن فتح أبواب الفردوس سيتم بعد الموت، في الحياة الأبدية. ولكن هنا نقصد فتح أبواب الفردوس من هذه الحياة ونحن ما نزال في حياتنا الأرضية. من يوجد في قلبه الكره والحقد لا يستطيع أن يعيش الفردوس هناك. ومن لديه المحبة والسلام والتوبة يعيش الفردوس من هنا على هذه الأرض. لقد أعطانا الرب يسوع في المفهوم الإنجيلي اليوم ما يلزمنا لنُعبر رحلة الصوم الأربعيني المقدس:

"إذا غفرت للناس زلاتهم يغفر لكم أبيكم السماوي أيضاً".

"إذا صتمت فلا تكونوا كالمرائين".

"وإذا صليتم فصلوا خفية لأبيكم السماوي".

أخيراً: "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض".

هذا ما نحتاجه من أدوات روحية خلال فترة الصوم الأربعيني المقدسة، المغفرة والصوم والصلاة والعطاء (الصدقة).

الصوم في الكنيسة الأرثوذكسية هو امتناع وانقطاع. امتناع عن أكل الزفر وانقطاع عن الطعام لفترة محددة، حتى منتصف النهار. ولكن الأهم، أنه بالصوم تمتنع النفس عن فعل الشر وتقطع عنها الأفكار الشريرة.

نقرأ في صلاة أحد الغفران: "لنبتدياً في أوان الصيام بحبور باذلين ذواتنا للجهادات الروحانية ونُنقّ النفس ونُطهر الجسد صائمين عن الأهواء كصومنا عن الأغذية متنعّمين بفضائل الروح التي إذا تمّناها بشوق نستحق مشاهدة آلام المسيح الإله الكلية الوقار ونُعابن الفصح المقدس مبتهجين اتبهاجاً روحياً".

لقد طرد آدم وحواء من الفردوس عندما تجاوزا الوصية التي وضعها الله لهم في الفردوس. وصية الطاعة عبر حفظ الصوم "عدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر". لقد انغلب آدم بالأكل وأما نحن فنعود إلى الفردوس عبر حفظ وصية الصوم.

تُعَلِّمنا الكنيسة أن لا نَحْصُر الصوم فقط في الإبتعاد عن الأَطعمة. لأن الصوم الحقيقي هو في الإبتعاد عن الشرور.

يكتب القديس باسيليوس الكبير: " إن كنتَ في الصوم لا تأكل لحمًا لكن مع الأسف تأكل لحم أخيك. وإن كنت لا تشرب خمرًا لكنك لا تستطيع أن تصوم لسانك عن الشتائم".

الصوم وصية إلهية أُعطيت للإنسان الأول منذ الفردوس ولكن لم يَحْفَظها. كل الأنبياء والأبرار والقديسين عرفوا واختبروا أهمية الصوم في الحياة الروحية. وكل القديسين حافظوا على هذا التقليد الأبائي الذي استلموه وسَلَّموه لنا.

الصوم حارس للنفس ورفيق أمين للجسد، الصوم يصدّ التجارب ويُمهّد الطريق للتقوى، إنه رفيق الهدوء وصانع العفة.

نُصلي إلى الربّ أن يعضدنا جميعاً في هذا الصوم المبارك عسى أن نَجني ثماره في نهاية الأربعين المقدسة.

أميــــن

المتروبوليت باسيليوس قدسيّة